كلمة صبحيّة نجّار
غار لقمان ٢٠٢٥

مساء الخير...

أشكر مؤسسة لقمان سليم، أمم للتوثيق والأبحاث، دار الجديد، رشا الأمير، ومونيكا بورغمان على منحي هذه الجائزة التي تحملني مسؤولية كبيرة. شكرًا أيضًا لحسن عباس، رئيس تحرير رصيف ٢٢ سابقًا، الذي كان داعمًا لهذا العمل، ولكل من ساهم في إنجازه، من المصور والمونتير جهاد سعادة، إلى الفريق الذي جعل هذه الأفلام ممكنة. هذه الجائزة ليست لي وحدي، بل لكل من يؤمن أن العدالة لا تموت، الصحافة الحرة لا تُغتال ولا تسقط.

في لبنان، حيث تغيب العدالة، و يصبح الإفلات من العقاب القاعدة بدل الاستثناء، حاولنا أن نسلط الضوء على هذه الظاهرة القاتلة من خلال سلسلة الأفلام القصيرة «قتلة بلا حساب». سلسلة لم تكن مجرد توثيق، بل صرخة في وجه الظلم، ومحاولة لكسر الصمت، وسرد القصة من زاوية إنسانية، بعيدًا من الأرقام الجافة والتقارير الرسمية.

أعددت ١٥ خمسة عشر فيلمًا قصيرًا وكان الهدف منها كشف عمق ثقافة الإفلات من العقاب، ليس فقط كخلل قانوني، بل كواقع اجتماعي مؤلم بات مترسخًا في يومياتنا. هنا الجرائم تمرّ بلا حساب، والعدالة تظل معطلة، وكأنها ليست حقًا، بل رفاهية لا يجرؤ أحد على المطالبة بها.

صوّرت في هذه الأفلام الضحايا الحقيقيين، الأمهات والزوجات اللواتي فقدن أبناءهن، إلى العائلات والناجيات التي لن تجد يومًا إجابة على سؤالها البسيط: لماذا؟

بدأنا السلسلة بانفجار مرفأ بيروت، الجريمة التي دفنت معها العدالة تحت الركام، إلى الاغتيالات السياسية التي استهدفت أصوات الحرية، إلى قمع المتظاهرين الذين طالبوا بمستقبل أفضل، إلى الشباب الذين فقأت السلطة عيونهم في مظاهرات ١٧ تشرين، لأنهم تجرأوا على قول الحقيقة.

سلسلة «قتلة بلا حساب» لم تتوقف عند السياسة، بل تغلغلت في المجتمع بأسره. إلى قتل النساء والعنف الأسري تحوّلا إلى مجرد أرقام، فيما الناجيات يواجهن التجاهل أو التواطؤ. أما «قضية منصور لبكي»، فقد كشفت كيف تُترك الناجيات وحدهن، بلا قضاء ينصفهن، ولا مجتمع يحتضنهن.

إغراق مركب طرابلس، تفجيرا مسجدي التقوى والسلام، نهب أموال المودعين، الرصاص الطائش كلها جرائم مرت دون محاسبة، فيما تستمر الميليشيات بفرض سطوتها، تُكرّس ثقافة الترهيب في غياب أي رقيب أو رادع.

الإفلات من العقاب: معركة لم تنتهِ بعد

ما كشفناه في «قتلة بلا حساب» ليس سوى جزء صغير من آلاف القضايا التي لم تنل أي شكل من أشكال العدالة. لم نبحث عن أجوبة لدى السياسيين أو القضاة أو رجال الدين، لأننا نعرف القتلة، ونعرف الشهود. لم يكن الهدف استنطاق سلطة تعمل على طمس الحقيقة، بل تسليط الضوء على الألم الحقيقي، على الضحايا الذين تُركوا ليواجهوا وحدهم تداعيات الجرائم التي سرقت منهم أحباءهم.

نعلم كيف يُستخدم القضاء لحماية الجناة، وكيف تُخنق الحريات، لكن ما لم نكن نعرفه هو كيف تعيش والدة لقمان بعد اغتياله؟ كيف تواجه شقيقته رشا الأمير غيابه؟ وما هو الألم الذي تحمله مونيكا زوجته كل يوم؟

هذه القصص، هذه المشاعر، كانت الأهم والأصعب. استمعت إليهم لساعات طويلة، ولم يكونوا مجرد أصوات في مقابلات، بل أصبحوا جزءًا من وعيي، من حياتي، ومن معركتي الشخصية.

لقمان سليم: اغتيال الجسد، بقاء الفكر

لن أنسى ٤ شباط ٢٠٢١. كنت في شهري الخامس، أترقب طفلي الأول، وأحلم له بعالم أكثر عدالة. ثم جاء الخبر، كعاصفة اجتثتني من مكاني. اغتالوا لقمان، اغتالوا الحقيقة، اغتالوا الحرية. لكنه لم يكن مجرد اسم، بل فكرٌ حي، وأرشيفٌ لن يُمحى، وذاكرة أقوى من لغات القتل والجهل والسلاح.

واحة خضراء وسط الفوضى

طفلة كنت عندما رأيت منزل آل سليم لأول مرة، بيتٌ أخضر يشبه بيوت الجبل وسط فوضى المدينة، تحيطه الأشجار والعصافير، كان مختلفًا، كان يشبه صاحبه... لأنهم قطعوا كل أشجار بيروت كنت أسأل والدي: «لماذا لا ندخل ونقول إننا تائهون؟» فيبتسم ويقول: «إنه بيت مليء بالحياة، تسكنه واحدة من أعرق العائلات في ساحل المتن الجنوبي ومش «الضاحية»...

عندما التقيت لقمان لأول مرة، أخبرته كم كنت أحب بيته، فابتسم وقال: «دارنا مفتوحة، تعالي متى شئت». لكن في بلد يُحارب الانفتاح، تصبح الكلمة الحرة جريمة، والفكر المستقل خطرًا. لم أكن أعرف أن هذا البيت، الذي رأيته كملاذٍ للحرية، وسيصبح هدفًا للكراهية، لأن صاحبه رفض الخضوع، رفض الصمت.

وفي أعقاب اغتياله حيث نواجه واقعًا مريرًا: حرية التعبير والصحافة في لبنان باتت هدفًا للهجوم. لم يكن فقدانه هجومًا على رجلٍ واحد، بل على روح الحرية التي تمكّننا من مواجهة الفساد والقمع. إنه نداءٌ عاجل للدفاع عن الحق في التعبير وضمان أن يبقى فضاء الصحافة منارة للشفافية في زمن الخوف والترهيب والتخوين.

اليوم، بعد أربع سنوات، هل لدينا أمل؟

انتخاب رئيس جديد، وتعيين القاضي نواف سلام، أحد أعمدة العدالة الدولية، رئيسًا للحكومة، أعاد لنا الأمل بأننا أمام فرصة حقيقية لبناء دولة القانون، لا دولة العصابات. لأول مرة، هناك من يواجه المنظومة بدل أن يكون جزءًا منها، من يصارح الناس بدل أن يخدعهم.

لكن، هل يكفي الأمل وحده؟

العدالة لا تأتي من تلقاء نفسها، علينا أن ننتزعها.

نحـن لا نعـرف القتـل، نحـن نؤمـن بالمحاسـبة كمـا كان يؤمـن لقمـان. نعـرف القاتـل، لكننـا لا نمـارس أسـلوبه فـي ممارسـة السياسـة نحـن نؤمـن بالكلمـة بالصـوت الحـر وبالثقافـة والتوثيـق كـي لا ننسـى نحـن وأولادنـا .

اليوم، لدينا فرصة لكسر منظومة الإفلات من العقاب، لاستعادة الثقة بالقضاء، لإثبات أن دماء الأحرار لن تذهب سدى.

لا عدالة اجتماعية بدون عدالة قضائية، لا استقرار طالما أن القاتل حر.

نريد دولة تحمي مواطنيها بدل أن تقتلهم. نريد قضاءً مستقلًا. نريد الحقيقة. ولن نقبل بأقل من ذلك.